حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

المحسنات البديعية في شعر عبد الغفار الأخرس

هياتم فتحي محمد إسماعيل*

أستاذ مساعد / كلية محمد المانع للعلوم الطبية_ المملكة العربية السعودية _ الخبر

المستخلص

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على محمد وآله أجمعين .. فمما لا شك فيه أنَّ الشاعر يتأثر ببيئته التي عاش فيها ، ونشأ ، وترعرع بين أحضانها، وكان الشاعر عبد الغفار الأخرس قد ولد بمدينة الموصل وترعرع بين أحضانها ، والتي بدأ وتعلم مبادئ القراءة وقسطاً من كتب اللغة والأدب والفقه على بعض شيوخها.وظهرت مواهبه الأدبية، وسطعت شاعريته في أجواء مجالس بغداد ومنتدياتها... فتلك البيئة شكلت شاعرنا ، وصقلت شاعريته .

واهتمَّ هذا البحث بدراسة أبرز المحسنات البديعية الشعريَّة التي تناولها الشاعر في ديوانه.

فقد وظف الشاعر خصائص الإيقاع الداخلي في تشكيل القصيدة، وتحقيق التأثير المرجو من الشعر، فوظف الجناس ، الطباق ، والتورية، والتكرار والتضمين القرآني وغيرها من مقومات البديع و أركانه التي كان لها أثر في تعزيز صوره بالمعاني المؤثرة . وقد كانت ألفاظ الشاعر تميل إلى السهولة، ووضوح المعنى.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

تعريف الشاعر وحياته : هو السيد عبد الغفّار بن عبد الواحد بن وهب في مدينة الموصل بُعيد سنة ١٢٢٠هـ- ١٨٠٥م، على أرجح الأقوال(١) .

وبها قضي أيام طفولته وصباه، وتعلّم مبادئ القراءة وقسطاً من كتب اللغة والأدب والفقه على بعض شيوخها، ولم تسعفنا المصادر بمعلومات عن أسرته، وشيوخه الذين درس عليهم وأخذ عنهم في الموصل.

قدم بغداد أيام شبابه، وسكن الكرخ، واتصل بالعلامة أبي الثناء الألوسي، وواصل عليه دراسته اللغوية والأدبية حتى نال إجازته.

وظهرت مواهبه الأدبية، وسطعت شاعريته في أجواء مجالس بغداد ومنتدياتها.

ولم تُبيِّن لنا المصادر سبب هجرة الأخرس من الموصل إلى بغداد ويبدو أن الأخرس، قد بدر منه ما أثار حفيظة والي الموصل عبد الرحمن باشا الجليلي(٢) فخشي الأخرس على نفسه وهاجر إلى بغداد.

وفي "الطراز الأنفس" إشارة إلى أن الوالي داود باشا، قد أمر بحبس الشاعر لسوء موقفه من والي الموصل عبد الرحمن باشا، فاعتذر الأخرس، وأرسل إلى الوالي بيتين من الشعر قال فيهما:

أقولُ للشَّامِتِ لمَّا بَدا يَكثُرُ بالتَّعنيفِ والشَّينِ(٣)
أليسَ يكفِينِي فخاراً وقد أصبحتُ فِي قيدِ وَزيرين

وكان هذان البيتان سبباً لاتصال الشاعر الأخرس بالوالي داود باشا. فقرَّبه الوالي، وأسبغ عليه رعايته.

وكان شاعرنا يشكو من احتباس في لسانه، لا يستطيع معه أن ينشد شعره، ويكاد يختنق إذا تكلّم.

ووجد الأخرس الفرصة سانحة لمعالجته على نفقة الوالي، فمدحه بقصيدة عرض فيها مبتغاه بقولة:

إنَّ أَيَاديكَ مِنكَ سَابغَةٍ عَلى قدم فِي سَالِفِ الحِقَبِ(٤)
هَذا لِسَانِي يَعُوقُهُ ثِقَلٌ وذاك عِندِي مِن أعظم الـذُّوبِ
فلو تسبَّبَ فِي مُعَالجَتِي لنلتُ أجراً بِذلك السَّببِ
وليسَ لِي حِرفة سِوى أدبٍ جمٌّ ونَظمُ القَريضِ والخُطَبِ

فأمر الوالي بإرساله إلى الهند لمعالجته، وأخبره الطبيب في الهند أنه سيجري له عملية جراحية، فإمّا أن ينطلق لسانه، أو يموت فأبى شاعرنا، وقال قولته المشهورة: "لا أبيع كلّي ببعضي". وعاد إلى بغداد(٥).

وكانت هذه العلة قد سّببت له عُقداً نفسية حادّة، ظهر أثرها في سلوكه وتصرفاته وتقلباته، وحدّة مزاجه وانفعالاته، وكان يقدم قصائده إلى ممدوحيه، مكتوبة بخطه البديع الأنيق، وقد كان خطاطاً بارعاً مجيداً أو يلقيها بعض أصحابه نيابة عنه، وقد ألقى الشاعر الكبير عبد الباقي العمري، قصيدة للأخرس بمدح أبي الثناء في مجلسه.

ولا شك في أن سرور الشاعر ونشوته وطربه، إنما يحصل عندما يلقي الشاعر شعره بنفسه، وإن انفعالاته وقسمات وجهه، ونبرات صوته، كل ذلك يضفي على شعره أثراً لا يُنكر، ولا يستطيع إظهار ذلك من ينوب عنه كائناً من كان.

وبلغ من حب الشاعر لداود باشا، أن مدحه بقصيدة بعد عزله عن بغداد، وبعث بها إليه، ولم يخش من بطش السلطة، وهو يتمني اللحاق به، ومنها قوله:

وإنّي عَلى خَصبِ الزَّمانِ وجَدبهِ إليكَ وإن شَطَّ المَزَارُ لأهرَعُ (٦)
ولو أنّني وفقتُ للخيرِ أصبَحَت نِياقِي بأرضِ الرُّومِ تُخدِي وتُسرِعُ

المحسنات البديعية في شعر الأخرس

البديع لغة: من بدع الشيء أنشأه وبدأه أي اخترعه[٧]، ويقال كلام (بديع)، وكلام مخترع. فالبديع يختص بمحاسن الألفاظ والمخترع متعلق بابتكار المعاني التي لم يسبق إليها[٨].

اصطلاحاً : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة[٩].

يقول الهاشمي: هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً، وجمالاً وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد[١٠].

وعلم البديع كما يقال: محاولة للكشف عما في الأسلوب من جمال آسر، وحسن ساحر[١١].

ومن أنواعه:

أ- الجناس:

منه المجانسة والتجنيس ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله[١٢].

وقال ابن المعتز*: هو أن الكلمة تجانس الأخرى في بيت الشعر وأن تشبهها في تأليف حروفها[١٣].

وهو ما اتفق ركناه لفظاً واختلفا معنىً بلا تفاوت في تركيبهما، ولا اختلاف في حركاتهما[١٤]، ومنه جناس تام وناقص

الجناس التام: هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء نوع الحروف وعددها وهيئاتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في أربعة أشياء واختلافهما يكون إما بزيادة حرف في الأول، أو في الوسط أو في الآخر[١٥].

وقد أولع الأخرس بالمحسنات البديعية ، فظلت الكثير من قصائده تزخر بألوان البديع ، من تورية وجناس وتعج بالطباق ، لذلك كانت أغلب معانيه بسيطة معنى وفكراً ، لسهولة اللفظ ، والقرب من لغة الحياة .

وقد كان الاهتمام بالبديع والزخرفة اللفظية استجابة للذوق ، ومعايير النقد في تلك الفترة ، إذ كانت المحسنات مقياساً لجودة الشاعر وبراعته ، وميزاناً عند النقاد يزنون الشعراء به ، فبقدر حشد الشاعر للمحسنات ، تكون براعته وجودة شعره، الأمر الذي دفع الشعراء إلى التنافس في توظيف المحسنات على حساب المضمون غالباً(٣)

ولا يخلو شعر الأخرس من الجناس ، إذ يقول :

لمَّا فارقتهُم يَوماً ومَا لِي إذا وقفتُ عَنهُم مـن بَـرَاح

ويَأبَى ذاكَ لِي قَدَرٌ مُـتاحٌ ونَحنُ بقبضَةِ القَدَرِ المُتـاح (٤)

يقول أنه فارق أحباءه ولا مفر له من مفارقتهم، فهذا ما أتيح له ، ولا مفرّ مما قدّر له ، فالجناس بين بين (قدر، وقدر) فالأولى المتاح الممكن ، والثانية من القضاء والقدر. جناس تام .

ويقول أيضاً :

أنَا مِن جَمِيلِ أبِي جَمِيلٌ لم أزَل أدَعَى إلى المَجدِ الأثِيلِ فأتبَعُ (١)

يذكر أن مصاحبته للسيد جميل أفندي ، جعلته يُعامل بنبل وشرفٍ رفيع وعزة ، فأصبح يُدعى للمناسبات الرفيعة المستوى ، الخاصة بالنبلاء، كأنه كفءٌ لهم فيتبع جميل أفندي في ذلك ، الجناس بين كلمتي (جميل ، وجميل) فالأولى تعنى الصنيع والمعروف ، والثانية جميل أفندي. جناس تام .

ويقول مادحاً سلمان باشا :

وخُذ بحديثِ سُلمانَ فإنّي أحِبُّ بهِ الثّناءَ المُستَطابَا
فلو فاكهتُهُ لَجَنيتَ شَهداً وَلو عَادَيتَهُ لشَهدتَ صَابا (٢)

يدعو الأخرس إلى الاهتمام بكلام سلمان ، إذ أنه يحب أحمده وعذوبة وطيب حديثه ويوضح إن كان حديثك معه مرحاً مليئاً بالفكاهة ، لأطربك معسول كلامه ، ويحذر مغبة عداوته فإن عاديته فلن تجد منه إلا كلاماً كاوياً ساماً (وهو العصارة التي تفرزها شجرة الصاب التي وردت بنهاية عجز البيت) .

الجناس هنا بين كلمتي (شَهَد ، شَهد) الأولى تعني العسل ، والثانية تعني المشاهدة والرؤية ، جناس غير تام .

ويقول :

ثمِلتُ بهم ومَا خَامرَتْ خمراً ولا رَاحِي بَسطتُ لِكأسِ رَاح (٣)

يوضح أنَّ وجودهم معه أسكره ، دون أن يشرب خمراً ، مؤكداً أن راحة يده لم تمتد.

لتأخذ خمراً يحتسيها ، الجناس بين كلمتي (راحي ، وراح) فالأولى منها تعني راحة اليد، والثانية تعني الخمر، جناس تام .

(١)) ديوان الأخرس ، ص:٨
(٢) المصدر السابق ، ص: ٣٥
(٣) المصدر السابق ، ص : ١٢

أما بيته التالي فقد جمع فيه بين الجناس و الطباق ، حيث يقول :

وَجَدَّ بنَا الهَوَى مِن بَعدِ هَزل وكم هَزْلَ الهَوى يَوماً فَجَدَّا(١)

فالجناس فبين (جَدَّ وجدَّا) فالأولى تعني الجدية ، والثانية تعني التجدد ، وبين (هزل وهزل) حيث تعني الأولى المزاح ، والثانية تعني الضعف ، جناساً تاماً . أمّا الطباق بين كلمتي(جدّ وهزل) طباق إيجاب .

ويقول عند نزوله الكويت :

وَمَا زِلنَا حَتّى حَللنَا صَبَاحاً فِي كوَيتِ آلَ الصَّباح
غيُوث مَكارم وَليوث حَربٍ وأكفاءُ الشَّجَاعَة والكِفاح (٢)

فالجناس في البيت الأول بين الصباح ، والصَّباح ، حيث تعني الأول وقت الصُبح، والثانية اسم العائلة المالكة بالكويت ، أما بالبيت الثاني فبين كلمتي (غيوث وليوث) اختلاف في حرفٍ واحدٍ ، جناس غير تام .

وبيته التالي أيضاً يتضمن جناس غير تام ، يقول :

بأيدَيكَ سِحرُ الخطِّ لا الخطُّ تنثني فتثني عليهَا المُرهَفاتُ القواضِبُ (٣)

فالجناس بين (تنثني وتثني) حيث تعني الأولى الميلان والتثني ، وتعني الثانية المدح والثناء ، جناس غير تام ، فالاختلاف بنقص حرفٍ.

وببيته التالي أكثر من جنا
س ، يقول فيه :

عَدَتْ منكم فينا عوادٍ عوادلٌ وسارت لنا فيكم قوافٍ قوافل (٤)

فالجناس بين كلمتي (عوادٍ و عوادلٌ) و بين كلمتي (قوافٍ و قوافل) اختلاف في حرفٍ واحدٍ ، جناس غير تام .

(١) ديوان الأخرس ، ص : ٤
(٢) المصدر السابق ، ص : ١٠
(٣) المصدر السابق ، ص: ١٣
(٤) المصدر السابق ، ص : ٣٠١

ويقول أيضاً :

مَنْ مُعِيدٌ لي مِنْ عَهدِ الأُلى زمناً فيه حَلا ثم خلا (١)

فالجناس بين كلمتي (حَلا و خلا) اختلاف في حرفٍ واحدٍ ، جناس غير تام .

ويقول مادحاً منصو باشا والي إمارة المنتفق :

والنصْر فيك له والخير وإنّما أنتَ يا منصورَ منصورُ (٢)

الجناس بين كلمتي (منصورَ و منصورُ) فالأولى يقصد بها الممدوح ، والثانية تعني الانتصار والفوز ، جناس غير تام .

ابدع الأخرس وتفنن منوعاً استخدامه للجناس ، وكانت معانيه مبتكرة ، مُراعياً مُقتضى الحال بدلالةٍ واضحة .

ب _ الطباق:

وهو الجمع بين متضادين أي: معنيين متقابلين في الجملة، ويكون بلفظين أو فعلين(٣)[١٦] .نحو قوله تعالى: وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُـــوَ أَمَاتَ وَأَحْـــيَا (٤٤)(٤)[١٧] .

إذ جمعت الآية بين كلمتين متقابلتين في المعنى ، بين أضحكى وأبكى ، وأمات وأحيا ، وهو طباق إيجاب .

وهو الجمع بين الشيء وضده مثل الجمع بين البياض والسواد والليـــل والنهار٥)[١٨].

وقد ورد الطباق كثيراً في قصائد الأخرس خاصة في قصائد المدح فيقول في مـدح عبدالقادر جبلي الكمركجي (٦)[١٩] :

ومن أنواع الطباق في شعر الأخرس قوله

وَافى عَلَى بُعدِ المَزَارِ ورُبَّمَا بَلَّ الغليلُ بغائِبٍ مِن حَاضِـرِ[٢٠].

الطباق بين كلمتي (غائب وحاضر) طباق إيجاب .

ويقول :

وكأنَّ ضَوءٌ فِي أثرِ الدُّجَى إظهارُ حُجَّةِ مُسلم لِلكافِـرِ[٢١]

الطباق بين كلمتي (ضوء ودجى) وبين (مسلم وكافر) طباق إيجاب .

أيضاً يقول :

إذا شَرِبَ المُدَامَ وأطربتهُ أعَادَ عَلى المُشِيبِ بهَا الشَّـــبَابَ[٢٢]

الطباق بين كلمتي(المشيب والشباب) طباق إيجاب .

ويقول في ذات الصدد :

مَا كان دَاءُ الحُبِّ إلا نَظـرَةً هِي فِي الصَّبَابَةِ دَاؤُه ودَواؤُهُ

أحَبَابِهِ النَائِينَ عَـــنـهُ أأنتمُ أحبَابه الأدنونَ أم أعـدَاؤُهُ (٤)

الطباق بالبيت الأول بين كلمتي ، (الداء والدواء) إذ جعل داء العشق يكمن فـــي النظرة ، حيث يكمن الداء والدواء بها ، وذكرني هذا بأبي نواس حين قـال عـن الخمر :

وداوني بالتي كانت هي الداءُ .

وبالبيت الثاني بين كلمتي (النائين والأدنون) وبين (الأحباب والأعداء) حيـث يتسآءل الشاعر عن صدود الحبيبة وابتعادها عنه ، أهي أقرب النـاس إليه ، أم عدوته .

ويقول :

ولقد رَعَيتُ لهمُ هُناكَ ومَا رَعَو وحَفِظت وُدَّهُم وضَيَّعُوا (٥)

يحوي البيت أكثر من طباق ، فالأول بين (رعيت وما رعوا) طباق سلب ، وبين (حفظت وضيَّعوا) طباق إيجاب .

وقد جمع بيته التالي بين الطباق و الجناس ، حيث قال :

يجدُّ بالنصح فألهو به وأدفع الجدَّ ببعض المِزاح (١)

الطباق بين كلميتي (الجدَّ و المِزاح) طباق إيجاب ، والجناس بين كلمتي (يجدُّ و الجدَّ) فالأولى تعني الحث الاجتهاد وتعني الثانية الجدية .

ويقول أيضاً :

لا ينزلون على كرهٍ بمنزلةٍ ولا يضامون في بدوٍ وفي حضرِ (٢)

الطباق بين كلمتي (بدو و حضرِ) طباق إيجاب .

ويقول في ذات الصدد :

وثنى المشيبَ من الشَّبابِ عنانه عن وَدِّ زينبه وعِشق سُعاده (٣)

الطباق بين كلمتي (المشيبَ و الشَّبابِ) طباق إيجاب .

أيضاً يقول :

أترجى الفتوح في المدح فيكم بأفتتاحي بمدحِكم واختتامي (٤)

الطباق بين كلمتي (أفتتاح و اختتام) طباق إيجاب .

ويقول بذات الصدد:

ومنذ أطعتُ الحبَّ فيه صبابة عَصَيْتُ عذولي في هواه ولائمي (٥)

الطباق بين كلمتي (أطعتُ و عَصَيْتُ) طباق إيجاب .

وجدنا الأخرس مولعاً بالطباق،(طباق الإيجاب على وجه الخصوص) فقد أكثر منه بشعره ، وكان مجيداً به

ج _ التورية : لم أجد للشاعر سوى ثلاثة أبيات فقط بديوانه ، مردِداً كلمة (مرَّ) ببيتين منهما ، لعلها تعكس نفسية الأخرس ومعاناة زمانه ، حيث قال :

(١) ديوان الأخرس ، ص: ١٨٧

(٢) المصدر السابق ، ص :١٣٧

(٣) المصدر السابق ، ص: ٣٧٩

(٤) المصدر السابق ، ص: ٥٢١

(٥) المصدر السابق ، ص: ٥٩٤

لا أبالي إنْ يكن لي موردا مرَّ يا سَعْدُ زماني أم حلا (١)

فالتورية بكلمة (مرَّ) التي تحمل معنيين ، المعنى القريب مرور الأيام وأنها صارت من الماضي (مرَّ يا سَعْدُ زماني)، أمَّا المعنى البعيد الذي يريده الشاعر فهو مرارة المذاق ، عكس الحلاوة ، والقرينة الدالة على ذلك كلمة (حلا) بآخر البيت .

أيضاً يقول :

لقد مرَّ ما أحلاه عيْشٌ بقربهِ فهْل كان ذاك العَيْشُ أحلامَ نائم (٢)

فالتورية بكلمة (مرَّ) حيث تعني مرارة المذاق (مرَّ ما أحلاه) معناً قريباً ، أمَّا المعنى البعيد الذي يريده الشاعر، فهو مرور الأيام حيث جعلت الشاعر يتسآءل عن حلاوتها ، أواقع عاشه حقاً من الماضي مرّ وانتهى ، أم هي حُلمٌ مما يراه النائم !؟

ومادحاً (محمود أفندي النقيب) أحد أعوان داود باشا قائلاً :

سأحمْدُ عِندَ مَحمُود السجايا عَوْاقِبَ أمرِ أخطار عِظام (٣)

فالتورية بكلمة (محمود) والتي تعني حميد الطبائع كريم الخِصال معناً قريباً غير مُراد (مَحمُود السجايا) ، أمَّا المعنى البعيد فهو يريد الممدوح نفسه (محمود أفندي) .

لم تحظ التورية بشعر الأخرس كما حُظيت ألوان البديع الأخرى ، حيث كان مُقلاً جداً في استخدامها .

د _ الاقتباس والتضمين

لغة : قال ابن فارس:"قبس القاف والباء والسين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على صفةٍ من صفات النّار، ثمَّ يستعار. من ذلك القَبس: شُعْلة النّار(٤)

وقال الليث : القَبَسُ : شُعْلة من النارِ يقتبسُهَا أيْ : يأخذها مِنْ معظم النارِ.

قال: وقبستُ العلم واقتبستُهُ ، وأقبستُهُ فلانًا وأقبستُ فلانًا نارًا أو خبزًا ، وأنشد:

لا تُقبسَنَّ العِلْمَ إلا امْرءًا أعَانَ بالنُّبِّ عَلى قَبْسِهِ (٥).

(١) ديوان الأخرس ، ص : ٥٤١

(٢) المصدر السابق ، ص: ٥٩٤

(٣) المصدر السابق ، ص: ٥٩٥

(٤) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٩٧٩م ص : ٨٩

(٥) معجم تهذيب اللغة ، ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م باب القاف ص: ٢٧٧

اصطلاحًا:

هو أن يضمن الكلام -شعرا كان أو نثرا- شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنّه منه ، كقول الحريري: "فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب(١)."

وعلى هذا فلو أسند الكلام المقتبس إلى الله تعالى أو إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم - فلا يسمى اقتباسا.

والتضمين هو : أن يضمن الشاعر كلامه شعرا من شعر غير ، مع التنبيه إن لم يكن مشهورا لدى نقاد الشعر وذوي اللسن (٢) .

وقد تأثر الأخرس كثيرا بمعاني القرآن الكريم في أشعاره ، ومن ذلك قوله :

عَرَائِمُك الكاشِـفاتُ الكُروبِ تكادُ الجِبَالُ لهَا أنْ تـزُولا

ولله مِن هِمَم فِي عُـلاكَ تُعِيدُ الحُزنَ سَرِيعًا سُهُـــولا

فلو رُمتَ قلعَ الرَّواسِي بـَهــا أعِدتَ الرَّواسِي كثِيبًا مَّهيلا (٣)

فقد تأثر بقوله تعالى : ((وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)) (٤) ، وقوله تعالى :((يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِـــــيبًا مَّهِيلا)) (٥) وقوله :

فمِن مِنحٍ شَرَحَت لَنا صُدُورًا ومِن مِنَنٍ ثَقلْنَهَا الرِقابَـا (٦)

وذلك قوله تعالى : ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)) (٧)

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني محمد بن عبد الرحمن جلال الدين ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ،الشركة العالمية للكتاب ، ط١ ، ج١/ص٣٨١

(٢) جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق الدكتور محمد التونجي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ص٣٣٨

(٣) ديوان الأخرس ، ص ١٠١

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٦

(٥) سورة المزمل ، الآية : ١٤

(٦) ديوان الأخرس ، ص : ١٠١

(٧) سورة الإنشراح ، الآية : ١

ويقول أيضاً :

هُداةُ العَالَمِين ومفداهم إلى نَهج الصِّرَاطِ المُستقِيم (١)

تأثراً بقوله تعالى : ((اهدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتقِيمَ)) (٢)

وفي قوله :

لا بدَّلَ اللهُ الزمانَ بغيره حَتَّى تبدَّلَ أرضُه وسَمَاؤُهُ (٣)

تأثراً بقوله تعالى : ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)) (٤)

واقتبس قوله تعالى : ((وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى)) (٥)

سعى إلى الفضل فنالَ ما ابتغَى وليسَ للإنسانِ إلا مَا سَعَى(٦)

وقوله تعالى : ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))(٧)

عندما قال :

تبيَّن الرشدُ من الغيِّ بِهِ وزَالَ إظلامُ الضَّلالَ بالهُدَى (٨)

ويظهر تأثره بقوله تعالى : ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا)) (٩) في قوله :

(١) الطراز الأنفس ، ص : ٣٦١

(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٦

(٣) ديوان الأخرس ، ص : ٥٣

(٤)) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٨

(٥) سورة النجم ، الآية : ٣٩

(٦) ديوان الأخرس ، ص : ٧٧

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦

(٨) ديوان الأخرس ، ص : ٧٧

(٩) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٣

صَدَّقوا اللهَ عَلى ما عَاهَدُوا إنَّهُم لم ينقصُوا فِي اللهِ عَهدَا (١)

وتأثر بقوله تعالى : ((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ))(٢)

عندما قال :

أنتَ أسنى نِعَمِ اللهِ الَّتِي نَحنُ لا نُحصِي لَهَا حَصرَاً وَعدَّا (٣)

وتأثر بقوله تعالى : ((قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا))(٤)

بقوله :

لستُ أستوفِي ثنائِي فِيكم وَلو أنِّي أجعلُ البحرَ مِدَادَا (٥)

وتأثر بقوله تعالى : ((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ)) (٦)

فِي بيُوتٍ أذِنَ اللهُ لَهَا أن تَرَاهُ فِي مَبَانِيهَا عَمُودَا(٧)

فالاقتباس من المحسنات اللفظية للنص ، واللغة العربية والأدب العربي يهتم كثيرا بتحسين النصوص وجمالياتها ، لكن تلك التحسينات من اقتباس وغيره خاضع للشـــرع ، والاقتباس من القرآن والسنة ليس مردودا بإطلاق ولا محرَّماً بإطلاق ، بل منه الجائز ومنه المحظور .

فالواجب على من أراد استعماله التعرف على أحكامه وما يجوز وما لا يجوز منه كي لا يقع في المحظور منه فرب كلمة يتكلم بها المرء لا يلقي لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفا (٨)

(١) ديوان الأخرس ، ص : ١١٨
(٢) سورة النحل ، الآية : ١٨
(٣) ديوان الأخرس ، ص: ١١٧
(٤) سورة الكهف ، الآية : ١٠٩
(٥) الطراز الأنفس، ص : ١٦٢
(٦) سورة النحل ، الآية : ١٨
(٧) الطرازالأنفس ، ص : ١١٩
(٨) كتاب الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، ج ١مطبعة دار الحديث ، القاهرة ،١٨٦٣م ، مصدر سابق ، ص : ٢٩٧

وقد ذهب بعض العلماء إلى جواز الاقتباس من القرآن في الشعر إذا كان ذا معنـــــــى محترم ، كالوعظ والتذكير أو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد توهم البعـض أن ممن أجازه الأستاذ أبو منصور الاسفراييني* واحتجوا بأبيات شعرية له ضمنها شيء من القرآن ، قال السيوطي في الاتقان: "وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام أبي منصور عبد القاهر ابن الطاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية وأجلائهم أنّ من شعره قوله :

يَا مَن عَدَا ثُمَ اعتدى ثُمَ اقترفَ ثُمَ انتهَى ثم ارعَوى ثـــمَ اعـترفَ
أَبَشِر بقول الله فِي آيَاتِـهِ إن يَنتَهُوا يَغفِرُ لَهُم مَا قد سَلَفَ

وقال استعمال الأستاذ أبي م نصور مثل هذا الاقتباس في شعره له فائدة فإنـه جليلُ القدر والناس ينهون عن هذا وربما أدى بحث بعضهم إلى أنه لا يجوز . وقيل إن ذلك إنما يفعله من الشعراء الذين هم في كل واد يهيمون ويثبون على الألفاظ وثبة من لا يبالي ، وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ أبو القاسم بن عساكر . (١)

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في شرح دروس البلاغة :

" أما في النثر فلا بأس به تأتِ بآية تكمل بها المعنى شرط الا يتنافى مع معنى الآيـــة بحيث يراد بالآية معنى وأنت جعلتها إلى معنى آخر فلا شك أن هذا حرام ولا يجوز، أنك تشير بالآية إلى معنى لا يراد بها ، لأن هذا تنزيل لكلام الله تعالى على غير معناه ، وهذا لا يجوز" (٢)

وخلاصة القول إنَّ الذي ترتاح له النفس وتبرأ به الذمة وتتقى به الشبهات ، ترك الاقتباس من القرآن وتضمينه الشعر وإن كان ذا مقام شريف ، احتراما وتعظيما وتنزيها له عما نزهه الله عنه..والله تعالى أعلم.

* هو أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي، متكلم من أئمة الأصوليين وأعيان فقهاء الشافعية. ولد في بغداد ونشأ فيها ثم رحل مع أبيه إلى خراسان و استقرّ في نيسابور، وتفقه على أهل العلم و الحديث، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ، ج٤، ص١٦٧

(١) الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، مصدر سابق، ص ٣٨٩

(٢) دروس البلاغة ، شرح محمد بن صالح العثيمين، تأليف : حنفي ناصف - محمد دياب - سلطان محمد - مصطفى طموم - ابن عثيمين تحقيق: محمد بن فلاح المطيري، مكتبة أهل الأثر – غراس، ٢٠٠٤م ، ط١ ،ص ١٨٣

أماتضمين الأخرس لأشعار السابقين من ذلك قوله :

لدى قوم أعَزَّ النَّاسِ جَارَا وأندَى بالنوالِ بُطونُ رَاح (١)

فقد ضمن قول جرير في مدح عبد الملك بن مروان :

ألستم خَيرُ مَن رَكِبَ المَطايَا وأندى العَالمِينَ بُطونَ رَاح (٢)

ونجد إعجابه بالمتنبي جعله يضمن معنى بيت المتنبي ، فقد أعاد الفكرة في صياغةٍ لا تبعد عن صياغة المتنبي كثيرا حين قال :

لِي بآل النَّبيِّ كلُّ قصيدٍ أسمعَت بالفخَارِ حَتَّى الأصمَّا(٣)

لقول المتنبي :

أنَا الَّذِي نَظَرَ الأعمَى إلى أدبي وأسْمَعَت كلِماتِي مَنْ بهِ صَمَمُ (٤)

تضمن شعر الأخرس بعض من أشعار غيره ، ولكنه لم يشر إلى ذلك بديوانه ، لربما أن ما تضمنه من أشعار كان مشهورا لدى نقاد الشعر .

و _ التكرار (رد العجز على الصدر) :

لغة : هو مصدر كرر إذا ردد وأعاد ، يقال كرر الشيء تكريرا ، وتكرارا ، أعاده مرةً أخرى ، فكان من معانيه الترجيع والبعث ، والإحياء من الفن (٥)

اصطلاحا : فهو دلالة اللفظ على المعنى مرددا ، وقد عرّفه ابن رشيق : بأنه تكرار كلمة المعنى واللفظ ، ويكون في الألفاظ أكثر من المعاني ، بغية التشويق والاستعذاب، أو التهويل(٦)

(١) ديوان الأخرس ، ص ٣١

(٢) شرح ديوان جرير ، شرحه وقدمه له : مهدي محمد ناصر الدين ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ،١٩٩٢م ، ص: ٧٤

(٣) ديوان الأخرس ، ص ٩٦

(٤) ديوان المتنبي ، أبو الطيب المتنبي ، شرح وتحقيق : الدكتور كمال طالب ، دار الكتب العلمية ، ، ٢٠٠٧ م ، ص : ٣٣٩

(٥) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة كرر ، ص: ١٣٥

(٦) العمدة في محاسن الشعر ، ابن رشيق ، ج٢ ، ص ٧٣ / ٧٤

ومن بين النقاد الذين اهتموا بهذه الظاهرة ، في دراساتهم المعاصرة ، نازك الملائكة ، في كتابها (قضايا معاصرة)، وهي ترى أن التكرار في أبسط أنواعه هو إلحاح على جهةٍ هامةٍ من العبارة عُني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها .(١)

فالتكرار ظاهرة قديمة استعملها الشعراء كثيرا، لأسباب نفسية كثيرة كالشوق والحنين(٢). لكل من الشعراء كلمات وأساليب يكثر استخدامها، ويعتبرها وسيلة أسهل، وأداة أيسر؛ للتعبير عن ذاته ويكررها في شعره.

ومما سبق ذكره درج تحت التكرار الملفوظ، وهو ما ألح فيه الشاعر كلمة واحدة بعينها، والتكرار المراد به تقوية المعنى.

وقد يعبِّر التكرار عن أفكار الشاعر ، وحالته النفسية ، وأثر الإيقاع الموسيقي في القصيدة، وقد ورد التكرار في شعر الأخرس كثيرا ، أحيانا قد يكرر عجز البيت بكامله .

ومع اختلاف الأساليب الكلامية وتنوعها، قد جرت على لسانه كلمات معينة، و أخذ يرددها

في شعره، ويتضح ذلك جلياً في قوله :

ومَا أرهَقَ مِن دَمع كريم جَرَى مِن لوعَةِ الوَجد اللئِيم (٣)

مكرراً عجز البيت، ونصف صدره ، بقوله :

أكفكفُ بَعدَهُم دَمعاً كرِيماً جَرَى مِن لوعَةِ الوَجدِ اللئِيم (٤)

وقال أيضاً :

ومَا سَالتَ دُمُوعُ العَين إلا لِمَا فِي العَين مِن حَرَّ السَّمُوم (٥)

(١)نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ،١٩٨١م ، ص : ٢٧٣

(٢)المرشد إلى فهم أشعار العرب: عبدالله الطيب ، ص ١٣٧.

(٣) الطراز الأنفس ، ص : ٣٦٠

(٤)المصدر السابق ، ص : ٣٧٩

(٥) المصدر السابق ، ص: ٣٦٠

ورد التكرار بقوله :

خُذِي يَا رِيحَ أنفاسِي إليهُم وإن كانَت أحَـــــرَّ مِن السَّمُـوم (١)

وقد كرر مؤرخاً للسفينة نفسها قوله :

فإن جَرَينَ وإن أرَّخَتْهنَّ فقُل تجري وأصبَح باسِمِ اللهِ مَجرَاهَا(٢)

مكرراً بقوله :

جَاءت مِن البَحرِ تجري فِيهِ أرَّخهَا سَفِينَة البَّحرِ باسم اللهِ مَجرَاهَا (٣)

وقال مكرراً المعنى ، وألفاظ البيت بقوله التالي :

وتصَدَّرَ عَن مَوارِدِ راحَتيهِ وَقد بَلَغَ المَرام مِن المَرُوم (٤)

حيث يقول :

أفِي الطَّلل الحَديثُ أو القدِيمُ بُلُوغ مَرَام صُبَّ مِن مَرُوم (٥)

وقال أيضاً مكرراً المعنى ، وألفاظ البيت بقوله :

إذا شَرِبَ المُدَامُ أطربتهُ أعَادَ عَلى المَشِيبِ بهَا الشَّبَابَ (٦)

حين قال :

فبِتُّ أحِنَّ مِن شَوقٍ إليهَا كما حَنَّ المَشِيبِ إلى الشَّبَابِ (٧)

(١) المصدر السابق ، ص : ٣٧٩

(٢) المصدر السابق ، ص : ٤٣٦

(٣) المصدرالسابق، ص : ٤٣٦

(٤) الطراز الأنفس ، ص : ٣٦١

(٥) المصدر السابق ، ص: ٣٧٨

(٦) المصدر السابق ، ص: ٤٩

(٧) المصدر السابق ، ص: ٥٩

كما كرر لفظة (رواء) بصدر وعجز البيت نفسه ، بالبيت التالي :

وأجفانٍ بعَبرَتِهَا رَوَاءُ وأحَشاءٍ بزفرتـــا رَوَاءُ (١)

مكرراً اللفظ والمعنى بعجز البيت حين قال:

مَنَاقِبُكَ الَّتِي مِثلَ الدَرارِي نَظمتُ بهَا لِجيدِ الدَّهرُ عِقدَا (٢)

حين قال :

لكَ فِي النَّاس عَلى النَّاس يَدٌ نُظمت فِي جيدِ هّذا الدَّهرُ عِقدا (٣)

ومكرراً اللفظ والمعنى في وصف الساقي حين قال :

مُهَفهَفُ الأعطافِ مِن قدِّهِ وطَرَفهِ الفـتّانِ شَاكِي السلاح (٤)

حين قال :

وما ألذ الرَّاحَ مِن شَادِنٍ مُهَفـهَفِ القدِّ وخود رَدَاح (٥)

فالتكرار غلب على أسلوب الأخرس ، بإعتباره محاولة لخلق إيقاع مغاير في القصائد بالإضافة لتأكيد المعنى في ذهن السامع ، فالشاعر يعنى غالباً بتصوير نفسه، والتعبير عنها ، ومن ثمّ نشأ التكرار، وتوارد الخواطر ، وتشابه الأثر

ولقد لاحظنا إعادة اللفظ مع معنى آخر في نفس الكلام ليعكس الأهمية التي يوليها الشاعر لمضمون تلك الجمل المكررة باعتبارها مفتاحا لفهم المضمون العام الذي يتوخاه ، إضافة إلى ما تحققه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه.

وخلاصة القول فإنَّ الأخرس قد رسم صوراً عدَّة ، وهي على سهولتها ووضوح أركانها عكست جانباً من خياله ، وقدرته على التحكم في رسمها ، وهو خيال نابع من تأثر البيئة المحيطة به ، والناس

(١) المصدر السابق ، ص: ٢٠

(٢) المصدر السابق ، ص: ١٠٥

(٣) الطراز الأنفس ، ص : ١١٩

(٤) المصدر السابق ، ص: ١٣٧

(٥) المصدر السابق ، ص: ١٣٧

الذين يتعامل معهم ، وقد استعان في رسم الصورة بأسلوب البديع ، وقد وظّف الشاعر أحياناً ألفاظ الحقيقة في رسم صورة انتزع أركانها من الواقع المادي ، ورَسمَ أجزاءها بالاعتماد على التضاد الدلالي بها .

Abstract

Improvisation in the poetry of Abdul Ghaffar Akhras

by Hayatem Fathi Mohamed Ismail

This research concerned with the study of the most poetic improvements and metaphors addressed by the poet in his divan.

The poet employed the characteristics of the internal rhythm in the formation of the poem, and to achieve the desired effect of poetry. He employed the alliteration, the seduction, the pictorial, the repetition and the Qur'an inclusion and other elements which has had an impact on enhancing its image in influential ways. The words of the poet tend to be easy, and clarity of meaning

الهوامش

(١) مقدمة ديوان عبد الغفار الأخرس ، ص٧

(٢) تولى الحكم في الموصل سنة (١٢٤٢- ١٢٤٤) أنظر: الموصل في العهد العثماني ص ٥٠٢ للدكتور عماد عبد السلام رؤوف ، القاهرة ، ١٩٧٥م ص ٧١

(٣) الطراز الأنفس في شعر الأخرس ، أحمد عزت الفاروقي ، مطبعة الشركة المتبية ، استلنبول ، ١٣٠٤ه ١٨٨٦م ، ص٤٢٩.

(٤) ا الطراز الأنفس، ص : ٦٩

(٥) المصدر السابق ، ص : ٨

(٦) الطراز الأنفس ، ص : ٢٥١.
(٧) لسان العرب: ابن منظور، م٨، مادة بدع.
(٨) جواهر الكنز تلخيص البراعة في أدوات ذوي البراعة ، نجم الدين أحمد بن إسماعيل ، تحقيق : محمد زغلول سلام، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص : ٤٨.
(٩) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة علي بن إبراهيم الحسين العلوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ج٣، ص ١٣٧.
(١٠) جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجى ، دار الفكر العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص : ٢١٥.
(١١) البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقد، تحقيق: أحمد بدوي، وحامد عبدالمجيد، مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ص٥.
(١٢) لسان العرب : ابن منظور، مادة جنس.
* ابن المعتز: هو عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، كان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ منهم، شاعر مجيد ، وناقد، وخليفة من خلفاء العصر العباسي وألف كتباً كثيرة، منها: الزهر والرياض، كتاب البديع، كتاب مكتبات الأخوان. فهرست ابن النديم: اعتنى بها وعلق عليها: السيخ إبراهيم رمضان دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١٢٩.
(١٣) كتاب البديع: لعبدالله بن المعتز، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص٢٥.
(١٤) الإيضاح في علوم البلاغةمحمد بن عبد الرحمن بن محمد القزويني، ط٤، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص : ٤٠٥.
(١٥) جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي، مصدر سابق ، ص ٢٤٤.
(٣) الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث ، محمود رزق سليم ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ١٩٧٥م ، ص : ٨١
(٤) ديوان الأخرس ، ص: ١١
(١٦) ديوان الأخرس ، ص : ٥٣٩
(٢) المصدر السابق ، ص : ١٨١
(٣) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: أبو العباس أحمد بن يعقوب المغربي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١ ، ج٢، ص٢٩.
(٤) سورة النجم: الآية (٤٤/٤٣).
(٥) كتاب الصناعتين: أبي هلال العسكري، ص ٢٧٦.
(٦) هو عبدالقادر جبلي المعروف بالكمركجي بن مصطفى جبلي، من تجار الشام عين مدير للكمرك في بغداد وظلم الناس كثير حتى ضج منه وانهزم أمام تجار بغداد أنظر الترجمة في مقدمة الطراز الأنفس ، ص : ١٣
(٢٠) ديوان عبد الغفار الأخرس ، ص :١٤٩.
(٢١) المصدر السابق ، ص : ١٤٩
(٢٢) الطراز الأنفس ، ص : ٤٤
(٤) المصدر السابق ، ص: ٢٦
(٥)المصدر السابق ، ص ١٣٢